

يوليوس فلهاوزن والمنهج الإسقاطي: نقد آرائه في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

Julius Wellhausen and the Projection Method: A Critique of His Views on Prophetic Biography and Islamic History

1. Muhammad Rizwan Rafeeq

Lecturer, Academy of Language and Professional Development (ALPD), The University of Lahore, Lahore, Pakistan.

PhD Scholar, Usuluddin (Islamic Studies), International Islamic University, Islamabad (IIUI), Pakistan.

Email: rizwan.rafeeq@alpd.uol.edu.pk

2. Muhammad Junaid Iqbal

Lecturer in Islamic Studies and Quranic Sciences, Cambridge International Science College, Talagang, Pakistan.

Email: muhammadjunaidiqbal09@gmail.com

Abstract

This research aims to examine the projection method as applied by the German orientalist Julius Wellhausen (1844-1918) in his writings on the Seerah and Islamic history, while providing a scholarly critique of his views based on authentic Islamic sources. The study traces Wellhausen's academic biography, from his birth and upbringing in Germany, his studies under prominent orientalists at the University of Göttingen, to his controversial academic career due to his critical views on the Bible, and finally his later interest in Islamic history, relying on primary sources such as al-Tabari's chronicle. The research defines the projection method as the imposition of the contemporary reality and personal experiences of the researcher onto ancient historical events, leading to distorted interpretations that reflect the researcher's mental image rather than historical truth. It presents practical examples of this method in Wellhausen's studies, particularly concerning the personality of Prophet Muhammad, the Quran, relations with the Jews, and the Umayyad financial policies toward non-Arab converts. The research provides scholarly critique of six major allegations raised by Wellhausen, including: his accusation that the Prophet authored the Quran, his description of the Prophet as driven by mere political ambition, his claim of injustice toward Jews, his portrayal of Islam as pagan due to kissing the Black Stone, his allegation of racial discrimination in early Muslim society, and his interpretation of the Prophet's policy toward hypocrites as terrorism. The research concludes that Wellhausen's methodology suffers from a fundamental flaw, namely subjecting religious and historical texts to a secular materialistic perspective while ignoring the spiritual dimension that is essential for properly understanding Islamic history.

Keywords: Julius Wellhausen; Projection method; Prophetic biography; Sirah; Islamic history; Orientalism; Critique of orientalism

المدخل:

فإن دراسة الاستشراق ومناهجه النقدية تُعد من أهم المجالات البحثية التي تتيح للأمة الإسلامية فهم طبيعة الخطاب الغربي حول تراثها ودينها، وتكشف عن الخلفيات الفكرية والثقافية التي تحرك هذا الخطاب. ومن بين أبرز الأسماء التي تركت بصمة واضحة في هذا المجال، يأتي المستشرق الألماني يوليوس

فلهاوزن (1844-1918م)، الذي امتدت أبحاثه لتشمل كلاً من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة التاريخ الإسلامي في مراحل التكوينية الأولى. وقد تميز منهج فلهاوزن – مثل غيره من المستشرقين – باعتماده على ما يُعرف بـ "المنهج الإسقاطي"، وهو المنهج الذي يقوم على إسقاط واقع الباحث المعاصر وتجاربه الشخصية وخلفيته الثقافية على الأحداث التاريخية التي يدرسها، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى تشويه صورة الماضي وتحميله ما ليس فيه. وهذا المنهج لم يسلم منه فلهاوزن، بل إن كتاباته عن الإسلام والمسلمين تزخر بالأمثلة التي تُظهر بوضوح كيف أن نظريته الغربية العلمانية حكمت تفسيره للنصوص والمصادر الإسلامية. ومن هنا، تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى تحليل المنهج الإسقاطي عند فلهاوزن، ونقد آرائه المتعلقة بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وذلك من خلال استعراض أبرز الشبهات التي أثارها، ثم تفنيدها بالأدلة والبراهين المستمدة من المصادر الإسلامية الأصيلة، مع الاعتماد على المنهج النقدي الموضوعي الذي يوازن بين الإنصاف العلمي ووضوح الرؤية الإسلامية. وقد قسمت هذا البحث إلى خمسة مباحث رئيسية، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بيوليوس فلهاوزن من حيث اسمه ومولده ونشأته، ثم تعريف المنهج الإسقاطي لغة واصطلاحاً مع ذكر أمثلة عليه. **المبحث الثاني:** استعراض مؤلفات فلهاوزن في مجالات: العهد القديم، والأنجيل، والتاريخ الإسلامي، ثم النقد العلمي لآرائه خاصة فيما يتعلق بسياسة التمييز المالية ضد الموالي. **المبحث الثالث:** بيان اهتمام فلهاوزن بالسيرة النبوية، وأبرز كتبه في هذا المجال مثل "محمد في المدينة" و"تاريخ الدولة العربية"، ومصادره التي اعتمد عليها. **المبحث الرابع:** النقد العلمي العام لمؤلفات فلهاوزن، ومناقشة قضايا: التفاوت في العطاء، وفرض الجزية على المسلمين الجدد، وإصلاحات عمر بن عبد العزيز. **المبحث الخامس:** تفصيل سبع شبهات أثارها فلهاوزن حول النبي ﷺ والدين الإسلامي، وهي: صانع القرآن، السياسي العلماني، ظلم اليهود، الطموح الشخصي، التمييز العنصري، الإرهاب، والإسلام الوثني، مع الرد عليها واحدة تلو الأخرى.

المبحث الأول: تعريف فلهاوزن وتعريف المنهج الإسقاطي

اسمه: بيوليوس فلهاوزن مؤرخ لليهودية ولصدر الإسلام، عالم ألماني مبرر في ميدان الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس، بقسميه القديم والجديد، وباحث محقق في ميدان التاريخ العربي.^{1} وناقد للكتاب المقدس (العهد القديم، ألماني مسيحي).

مولده: ولد في 17 مايو سنة 1844^{2} في قرية هاملن Hameln^{3} (بنواحي هانوفر Hanover^{4}) على نهر الفايزر (وستفاليا)^{5}.

^{1} يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، نقله عن الألمانية وعلق عليه: د. محمد عبد الهادي أبو ريده، راجع الترجمة: د. حسين مؤنس (تحقيق وتعليق أ.د. نهلة أنيس محمد مصطفى) مراجعة وإشراف: أ.د. أيمن فؤاد سيد الدار المصرية اللبنانية (ص: 19)

^{2} دكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقحة ومزايدة، دار العلم للملايين، بيروت، (ص: 408)

و (السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، أشغال الندوة الدولية التي نظمتها مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو. جمع وتنسيق الدكتور، سعيد المغناوي، (ص: 40)

^{3} هاملن هي بلدة ألمانية تقع في ألمانيا في سكسونيا السفلى يقدر عدد سكانها بـ 68,696 نسمة.

^{4} هانوفر هي عاصمة ولاية ساكسونيا السفلى إحدى ولايات ألمانيا وإحدى أكبر مدن البلاد

^{5} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، (ص: 19)

تعليمه ونشأته: درس على يد إيقلد H.G.A. Ewald (1875-1803) ^{6} الذي كان من أبرز العلماء المشتغلين باللغات السامية وبنقد التوراة وذلك في جامعة جيتنجن . بدأ حياته الأكاديمية في سنة 1870، مدرساً في ميدان تاريخ العهد القديم، ^{7} وفي سنة 1872م صار أستاذاً ذا كرسي في جامعة جريفسلد، لكنه سرعان ما اضطر إلى التخلي عن منصبه هذا بسبب ما أثارته كتاباته في نقد الكتاب المقدس والتاريخ المقدس من مجادلات. وهو قد كان مفكراً متحرراً، يعتد بالعقل ويعنى في دراساته بالنقد ^{8}، فانتقل إلى جامعة هله Halle في سنة 1882 حيث قام بتدريس اللغات الشرقية. وانتقل منها في سنة 1885م إلى جامعة ماربورج، ثم في سنة 1892 صار أستاذاً في جامعة جيتنجن، خلفاً لباول دي لاجارد P. de Lagarde، وظل في منصبه هذا حتى عام 1913م حين تقاعد وعاش من ثم في جيتنجن حتى وفاته في 7 يناير سنة 1918. ^{9}

تعريف المنهج الإسقاطي عند المستشرقين:

الإسقاط لغة:

سقط الشيء من يدي سقوطاً، وأسقطته أنا. والمَسْقُوطُ ^{10} السَّيْنُ وَالْقَافُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْوُقُوعِ، وَهُوَ مُطَرَّدٌ. مِنْ ذَلِكَ سَقَطَ الشَّيْءُ يَسْقُطُ سَقُوطاً. ^{11}

الإسقاط اصطلاحاً:

إسقاط الواقع المعاصر العاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم ^{12}. أى أنه يعنى باختصار "تصور الذات في الحدث أو الواقعة التاريخية". ^{13}

المنهج الإسقاطي:

ويقوم هذا المنهج بإسقاط الواقع المعاصر، على الوقائع التاريخية القديمة، فتفسر اعتماداً على خبرة المستشرق ومشاعره الخاصة، وما يعرفه من واقع حياته ومجتمعه، وهكذا لا يرى الباحث إلا صورته الذهنية دون غيرها من الصور الفكرية التي ربما تخالف ما يذهب إليه، وهنا يحاول جاهداً إخضاع جميع الصور إلى ما ارتضاه لنفسه ولو جانب الموضوعية ^{14}، أو يسقط قضية (ما) شاعت عند الأديان الأخرى على الدين الإسلامي، مثلاً . أسقط الرؤية العقلية المعاصرة حول تدرج الأديان، فتحدث عن تدرج الدين الإسلامي، فأقدم الآيات القرآنية . في نظره ، لا تحتوي على أي هجوم على الوثنية، بل كانت تؤكد على وجود توحيد غامض، ثم أخذ الإلحاح يشتد على وجود إله واحد مع شدة النقد العبادة الأصنام، وأما عن تحنث النبي ﷺ في غار

^{6} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص:19)

^{7} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص:20)

^{8} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، (ص: 19)

^{9} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص:20)

^{10} أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (3\1132).

^{11} ابن منظور، لسان العرب (86\3).

^{12} د. عبد العظيم الديب : المنهج في كتابت الغربيين عن التاريخ الإسلامي (99 - 100).

^{13} د. حسن عزوزي : آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، (ص:37).

^{14} انظر ساسي الحاج نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي (السيا)، ط1، 2002م، (ص: 169)

حراء، فيفسر من قبل وات على أنه ليس إلا فراراً من حر الصيف، وأن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه عمل بالتجارة، والتاجر لا بد أن يدقق حساباته ويراجعها، وذلك لا يكون إلا بمعرفتهما {15}.

وتخيل بالاشير أن الصحابة بتنافسهم في زعمه على الخلافة في مرض النبي الكريم ﷺ كانوا شيعاً وفاقاً مثل الأحزاب السياسية المعاصرة في تنافسها على الحكم وشماتة الأغلبية بالأقلية، حيث اختلق حزبين متصارعين هما: حزب علي وفاطمة رضي الله عنهما من جهة، وحزب أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم من جهة أخرى. {16}

وقد أظهرت بعض الدراسات الغربية الرسول ﷺ في صورة رجل القرن الثامن عشر مصلحاً غير مسيحي، أو كما صورته فولتير (ت 1778م) رجل سياسة الغاية عنده تبرر الوسيلة {17}، ولما وقف بعض المستشرقين على كتب الأديان السابقة وتبين لهم أن بعضها ألف من قبل أشخاص لتحقيق غاية عندهم، أسقطوا ذلك على القرآن نفسه، فمنهم من يتخيل أن محمد ﷺ رجلاً دفعته طموحاته ووساوسه في زمن الكهولة إلى تأسيس دين؛ لبعد في زمرة القديسين، فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية، وقام بنشرها في قومه، فاتبعها رجال منهم {18}، ولا يزال الحجر الأسود موضوع جدل بين المستشرقين، حيث أخذ حيزاً واسعاً في دراساتهم، واعتبر رمزاً على وثنية الإسلام انطلاقاً من أن العرب في جاهليتهم عبدوا الأصنام، فلا بد أن تكون هذه القضية الوثنية قد وجدت طريقها إلى الإسلام أيضاً {19}.

وهذا الإسقاط لا يستقيم فهو ليس صنماً؛ إذ لم يعرف عن قريش ولا غيرها من قبائل العرب تقديسه، ولم يرد له ذكر بين نصبها وأوثانها، فهو أمر رمزي لا يهدف إلى أي قداسة في ذاته، وقد هاجم القرآن الكريم الأوثان ولو كان الحجر منها لهدمه رسول الله ﷺ أثناء فتح مكة، كما هدم الأصنام التي أحاطت بكعبتها {20}، ومقولة عمر رضي الله عنه الشهيرة تحلي حقيقته: "إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك {21}"، وهذا الأمر ينطبق إلى حد بعيد على Corbin كوربان (ت 1903 م) {22} الذي بضغط من أزمة الغرب الروحية في فترة ما بين الحربين العالميتين. انصرف يبحث في الفلسفة الإسلامية عن حلول لانعكاس تلك الأزمة على نفسه، فذهب إلى الشرق يحمل معه أزمة الغرب الروحية وصراعاته الفكرية، فوجد في الفكر الإشراقي عزاء يقاوم به خصومه في الغرب، ولا سيما العقلانية الهيجيلية التي وحدث ما بين الفكر

{15} عبد المنعم فؤاد من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام، مكتبة العبيكان، ط 1/ 1422 هـ، م (ص: 206)

{16} مصطفى السلوقي دراسات المستشرقين السيرة النبوية معضلة محمد إراميس بلاشير نموذجاً، أطروحة دكتوراه، دار الحديث 1998 الحسنية (الرباط) (2/36)

{17} أ. د فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع. تاريخ النشر: 1998 م. (ص: 53-54)

{18} أنور الجندي، الإسلام والثقافة العربية في مواجهة الاستعمار، مطبعة الرسالة في مصر (ص: 139)

{19} يقول فلهاوزن أصبح الحج إلى الكعبة، بل تقبيل الحجر المقدس من الشعائر الدينية المفروضة، وبذلك دخل في الإسلام مركزاً للشعائر وعيد ولي شعبي، فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، (ص: 18)

{20} عبدالله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية (ص 277)

{21} رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، (رقم الحديث 1597)، 2/ (149)

{22} مستشرق فرنسي يميل إلى الوجدان والتجربة الصوفية ومن هذا اهتم بالفلسفة الإشراقية ولا سيما فيلسوفها السهروردي، أتقن عدة لغات تتلمذ على اليدين جلسن ومامستيون، وأعظم أعماله هي في الإسلام الإيراني". (انظر بدوي: ص 482 485)

والتاريخ، ونظرت إليهما . في صيرورتهما على أنهما تجسيد للمطلق، فوجد في فلسفة الإشراق عند السهروردي^{23} نقيض فكر هيجل فتمسك بها وانغمس في خيالاتها وشطحاتها، ولو وقف عند هذا الحد، لكان المصاب هيناً، لكنه تخطى ذلك وانطلق يؤرخ للفكر الإسلامي من منظور غنوصي^{24} إشراقي؛ على نحو يجعل نظرية الإشراق هي التجلي الأمثل للحقائق النبوة^{25}، وبهذا مارس عدوانية كبرى على الفكر الإسلامي عندما أنطقه بما يشتهي هو لا كما يبدو فعلاً.

المبحث الثاني: مؤلفات فلهاوزن والنقد العلمي لمؤلفات فلهاوزن

١- في تاريخ اليهود ونقد الكتاب المقدس (العهد القديم)
كان فلهاوزن من ألمع الباحثين في نقد أسفار موسى الخمسة (التوراة). وقد أخذ بالنظرية القائلة بأن التوراة تتألف من وثائق أقدم من تأليف التوراة وتقسّم إلى ثلاث سلاسل (E¹. E^a. J) وتطورت هذه النظرية على يد هوبفالد H. Hupfeld بالتمييز بين مصدرين مصدر إلهي، ومصدر يهواني (نسبة إلى أيهوا).. وجاء رويس E. Reuss و هـ. جراف Graf و أ. كونين Kuenen . فكانوا أول من شكك في قدم الرواية هذه على أساس متين، وطبق نظريات هيجل ومذهب التطور فانتهى إلى أن المصدر اليهودي قد كتب في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، وقد بقيت فيه آثار الشرك والتشبيه. أما المصدر الأول E فقد نشأ في القرن الثامن قبل الميلاد ويمثل تصوراً موحداً لله. حوالي سنة 620 في عهد الملك يو سياس كتب سفر التشريع الثاني، وفيه تأثير الأنبياء بارز جداً. وفي أثناء الأسر في بابل كتبت مدونة الكهنة، وهي التي فصلت التشريع اليهودي. ثم جاء عزرا أو أحد تلاميذه فجمع المصادر الأربعة وحررها على النحو الحالي الموجود في أسفار التوراة الخمسة وهاجم فلهاوزن رأي رويس Reuss القائل بأن مدونة الكهنة كتبت بعد الأسر البابلي^{26}. وعبر فلهاوزن عن آرائه هذه في كتابين:

الأول : تاريخ إسرائيل Geschichte Israels الذي ظهر لأول طبعة في برلين سنة 1878م، ثم نقحه وعدل فيه وأصدر طبعة ثانية في سنة 1883، وبعنوان جديد هو المدخل إلى تاريخ بني إسرائيل، (ط6 سنة 1905، وأعيد طبعه سنة (1927)^{27}).

الثاني: (تأليف الأسفار الستة، والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس) (برلين 1885م، ٣ ط سنة 1899م).

^{23} يحيى بن حبش بن أميرك، لقب بشهاب الدين السهروردي أو الشيخ المقتول والسهروردي نسبة إلى (سهرورد)، وهو غير عمرو بن محمد الصوفي صاحب كتاب عوارف المعارف، ولادته كانت بين عامي (545، 550هـ)، كان ذكياً شديد الإعجاب بنفسه، قتل في حلب واختلف الناس في سبب هذا القتل، فقيل حسده الفقهاء (انظر الشهر زوري: ترجمة السهروردي نشرت في مقدمة كتاب هياكل النور من حسن السماحي، دار الهجرة ، بيروت)، ص 10، وابن حجر: لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بروت) 1406/3 هـ (3/ 157)
^{24} الغنوصية: مذهب تليفي يجمع بين الفلسفة والدين، ويقوم على أساس فكرة الصدور، ومزج المعارف الإنسانية بعضها بعض ويشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها، وفيه تلتقي الأفكار القبلية التصوف اليهودي بالأفلاطونية المحدثة، وبعض التعاليم الشرقية كالمانوية والمزدكية وترك أثراً كبيراً على الأديان (انظر المعجم الفلسفي، إصدار مجمع اللغة العربية المطابع الأميرية 1983م، مادة غنوصية، ص 133)
^{25} الجابري، الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية، ضمن مناهج المستشرقين ، جامعة دمشق- كلية الشريعة.

قسم العقائد والأديان (1/334)

^{26} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص: 408)

^{27} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص: 408)

وفي تاريخ اليهود بعامة كتب كتاباً بعنوان :
(التاريخ الإسرائيلي واليهودي)(برلين 1894م، ط 9 سنة 1958م). وله دراسات في بعض أسفار العهد القديم،
منها : (نص سفر صمويل (جبننجن ؛ سنة 1871م).^{28}
أ- سفر المزامير لبيتسك سنة 1895م).
الأنبياء الصغار (برلين سنة 1895م).
ورغم ما لقيته آراء فلهوزن من مساجلات ونقد عنيف فقد بقيت معتمد الباحثين في أسفار العهد القديم من
الكتاب المقدس حتى اليوم، رغم وفرة الدراسات التالية في هذا الباب.
ب- نقد الأنجيل:
وبنفس البراعة النقدية انكب فلهوزن على دراسة الأنجيل. فانتهى إلى افتراض نص أساسي هو إنجيل
مرقس، وعنه تفرعت نصوص الأنجيل الثلاثة الأخرى. وأداه البحث إلى تأكيد أن الجماعة المسيحية الأولى
هي التي أثرت في تصوير شخصية المسيح وأعماله. وقد كتب في هذا الباب المؤلفات . التالية : - الفريسيون
والصدوقيون (جر بفسفلد سنة 1874م ؛ ط 2 هانوفر سنة 1924م).
إنجيل مرقس (برلين سنة 1903م ؛ ط 2 سنة 1909م) .
إنجيل لوقا (برلين، سنة 1904م).
إنجيل متى برلين سنة 1904م، 2 سنة 1914م) .
إنجيل يوحنا» (برلين، سنة 1908م).
ج - في تاريخ الإسلام والعرب بيد أن إنتاجه في ميدان تاريخ الإسلام لا يقل كثيراً عن إنتاجه في الدراسات
المتعلقة بالكتاب المقدس.
فقد كان أول المستشرقين استفادة من تاريخ الطبري الذي كان يشرف على نشره دي خويه في ليدن، وظهر
منه الجزء الأول: (بتحقيق V.BARTH) في سنة 1879م-1881م،
والثاني: بتحقيق بارت و نيلدكه في 1881- 1882،
والثالث: بتحقيق بارت و نيلدكه في 1881- 1882،
والرابع: بتحقيق (E) Prym سنة 1898- وتلك هي السلسلة الأولى ؛
ثم السلسلة الثانية في ثلاثة أجزاء 1881، 1883، 1885،
والسلسلة الثالثة في 4 أجزاء: 1879- 1884، 1882- 1881، 1880
والفهارس سنة 1901.
فباستغلاله للمادة العظيمة التي قدمها هذا المصدر الرئيسي للتاريخ الإسلامي ألف فلهوزن الكتب التالية:
- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام» (برلين سنة 1903) وهو الذي ترجمناه إلى العربية
في سنة 1958 في برن، ونشرناه في القاهرة سنة 1959 تحت عنوان أحزاب المعارضة السياسية الدينية في
صدر الإسلام الخوارج والشيعة (مكتبة النهضة المصرية وأعيد طبعه بعد ذلك مراراً .
- الدولة العربية وسقوطها - ويقصد بها الدولة الأموية باعتبار أن الحكم فيها كان للعرب خالصاً دون سائر
الأجناس التي اعتنقت الإسلام ؛ وقد ترجم إلى العربية مرتين الأولى قام بها عن الإنجليزية يوسف العش
والثانية عن الألمانية والانجليزية وقام بها د. محمد عبد الهادي أبو ريده.^{29}

^{28} عبد الله محمد الأمين النعيم ،الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات-بروكلمان-
فلهاوزن)(ص:15)
^{29} بدوي، موسوعة المستشرقين(ص:409)

وقد أصدره فلهوزن في برلين سنة 1902 بعنوان

.Das arabische Reich und sein Sturz

- بقايا الوثنية العربية

Reste arabischen Skizzen und

ضمن سلسلة بعنوان

Heidentums . Vorarbeiten, IV, Berlin 1887; 2. Aufl. 1897

المدينة قبل الإسلام و تنظيم محمد للجماعة الإسلامية في المدينة

.Muhammeds Gemeindegliederung von Medina & Medina vor dem Islam

(ضمن المجموعة الدكتوراة ج4، برلين سنة 1889)

- مقدمة إلى أقدم تاريخ الإسلام في نفس المجموعة، برقم 6، برلين سنة 1899).

وفي تصدير ترجمتنا لكتاب وأحزاب المعارضة وصفنا طريقة فلهوزن في دراسة تاريخ صدر الإسلام ومكانته في هذا الباب - فنجزى بالإحالة إليه {30}

والحق أن فلهوزن في كتابه الذي نقدمه لقراء العربية ، قد جمع بين الجد العلمي والعمق والعدالة ، إذا قرن بغيره ، وهو كما لاحظ بكر ، قد جمع بين روح العالم وموضوعيته ، وبين روح الفنان وذاتيته . وهو يقرأ المراجع ويستوعبها استيعاباً تاماً ، ويدرك جملتها بحدس عجيب ، وهو من أبرع من عرفت في الاختصار الذي يلم بجوهر الموضوع ، وهو يكتب مستوحياً حدسه الكلي وسط المادة التي جمعها ، وهو بارع أيضاً في تصوير الأشخاص تصويراً دقيقاً لا يخلو من طرافة . كان فلهوزن طويل النفس في بحثه ، يسير بيانه للحوادث كما يسير النهر الكبي. {31}

المبحث الثالث: اهتمام فلهاوزن بالسيرة النبوية وتاريخ الإسلام و مؤلفاته:

كتب فلهاوزن كتابات نقدية كثيرة عن الكتاب المقدس وتاريخه وتاريخ إسرائيل، فنقد أسفار موسى الخمسة، وكتب عن الأنجيل (إنجيل لوقا وإنجيل متى وإنجيل مرقس، وإنجيل يوحنا) كما ترك فلهاوزن إنتاجاً فيما كتبه عن تاريخ الإسلام لا يقل عن ما كتبه في الدراسات المتعلقة بنقد الكتاب المقدس. وقد كان حسب الدارسين أول المستشرقين استفادة من المصادر المتقدمة التاريخ الإسلام وخصوصاً تاريخ الطبري {32} الذي كان يشرف عليه دي خويه {33} في ليدن وباستغلال فلهاوزن للمادة الغزيرة التي يقدمها تاريخ الطبري ألف هذا المستشرق عدداً من الكتب نذكر منها: {34}

{30} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص:409)

{31} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، (ص:19)

{32} تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري هو كتاب في التاريخ من تأليف محمد بن جرير الطبري والكتاب يؤرخ من بدء الخلق إلى نهاية سنة 302 هـ وقيل سنة 309 هـ بدأ الطبري من أخبار آدم إلى أن انتهى بأخبار زمانه. (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067 هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: 1941م (277/1)

{33} دي خويه ولد في 1836، وتوفي في 1909 . هو مستشرق هولندي، من أرسخ المستشرقين قديماً في الدراسات العربية. تعلم في جامعة ليدن وأكسفورد ودرس في الأولى. ونشر فائس من الكتب العربية، منها تاريخ الأمم والملوك لطبري، في 18 مجلداً، وأنشأ مكتبة الجغرافيين العرب، ونشر فيها المسالك الممالك" للاصطخري، و أحسن التقاسيم" للمقدسي، و "المسالك والممالك لابن خردادبة، و المسالك والممالك لابن حوقل و التنبيه والإشراف للمسعودي، و

تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية أبرز مؤلفات يوليوس فلهاوزن هو كتاب تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية.^{35} الذي نشره في سنة 1902 في برلين، وقد ترجم (غراهام) هذا الكتاب إلى الإنجليزية، ونشر بعنوان مملكة العرب وسقوطها وقام بترجمة إلى اللغة العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده^{36} ونشره بالقاهرة. وقد تحدث المستشرق الألماني المعاصر (بارت^{37}) عن هذا الكتاب فقال: هو كتاب عظيم من الناحية العلمية ومن الناحية الفنية. و عمل يعتمد على تحليل نقدي للمصادر المتمثلة في الفقرات المطلوبة من تاريخ الطبري، وعرض لتاريخ السياسي للاسلام حتى سقوط الأسرة الأموية يأخذ بمجامع قلوب القراء، ولو اقتراه ما وصلنا من انشائه على هذا الكتاب وحده، لحق علينا أن نعتبره من أجله أهم مؤرخ كتب عن تاريخ الاسلام اطلاقاً.^{38} وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية مرتين أولي قام بها عن الإنجليزية يوسف العيش، والثانية عن الإنجليزية وألمانية وقام بها الدكتور محمد أبو الهادي أبو ريده.^{39}

لقد يتناول هذا الكتاب التاريخ الإسلامي حتى نهاية الخلافة الأموية عام 750يلادي. وهناك عرض مختصر يتناول المصادر المتوفرة لهذه الفترة وميولها وأهميتها أبو مهنف^{40} يمثل الاتجاه العراقي الكوفي، وهو يمثل

مختصر كتاب البلدان" للهمداني، و "الأعلاق النفسية لابن رسته، وجعل لها فهرساً أبجدياً عاماً. ونشر "فتوح البلدان" للبلاذري، و" ديوان مسلم بن الوليد" وغير ذلك، وتوفي في ليدن (انظر د. يحيى مراد ، معجم اسماء المستشرقين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 2004 سنة النشر (ص522)
^{34} دكتور سعيد المغناوي السيرة النبوية في كتابات المانية، بحوث السللة الندوات التي نظمها فريق البحث في السنة والسيرة وقضايا الاعجاز بكلية الأدب والعلوم الإنسانية، فاس (ص41).
^{35} وفاء عدنان حميد، المستشرق الماني يوليوس فلهاوزن و رواياته عن الاقتصاد الإسلامي في عصر الأموي، كلية الأدب، جامعة بغداد ، (ص25).

^{36} محمد عبد الهادي أبو ريده . ولد أبو ريده بتاريخ 24 نوفمبر 1909 بمدينة العريش، وتوفي في سنة 1991 ، كان أبو ريده من الطلبة الأوائل الذين تخرجوا في قسم الفلسفة بالجامعة المصرية في القاهرة سنة1934 . نال أبو ريده درجة الماجستير سنة 1939، ثم حصل على الدكتوراة من جامعة بازل بسويسرا سنة 1945 في رسالته التي أنجزها بالألمانية الغزالي ونفقه الفلسفة الإغريقية وعاد إلى القاهرة ليشغل أستاذا في جامعتها، ثم عمل أستاذا زائرا، لفترة قصيرة، سنة 1948 في السريون بفرنسا فملحقا ثقافيا لبلاده في مدريد التي أنشأ فيها المعهد المصري للدراسات الإسلامية، وحضر إلى بنغازي مع تأسيس الجامعة الليبية وظل بها إلى سنة 1962 فعاد مرة أخرى إلى القاهرة ودرس بجامعة عين شمس واختبر مساعدا العميد كلية أدائها إلى سنة 1966 التي شهدت سفره إلى الكويت وإسهامه في تأسيس جامعتها وقسم الفلسفة بها والمشاركة في التدريس إلى سنة1987 . عمل أستاذا زائرا في جامعة السوربون، وكان مستشارا ثقافيا للسفارة المصرية في إسبانيا، وشارك في إنشاء معهد الدراسات الإسلامية في مدريد. (قراءة في منهج المؤرخ ابو ريده ، للدكتور جمال فالح الكيلاني ، مجلة الفكر الحر ، بغداد ، 2015 (ص: 105)
^{37} بازث Jacob Barth مستشرق الماني. ولد في1851 . وقام بتدريس اللغة العربية وتفسير الكتاب المقدس والفلسفة اليهودية في المعهد الرباني الذي اسسه هلدسهيمر في برلين. وفي 1876 عين مدرسا للغات السامية في جامعة برلين، و استأذاً مساعداً في 1880 ، ولكنه لم يرق إلى استاذ ذى كرسي لأنه يهودي كان من كتبه بالألمانية أبحاث في الشعر العربي القديم وكتاب في الأدب العربية والعبرية ونشر بالعربية ديوان القطامي و الفصيح ثعلب وتوفي في عام1914. (انظر معجم اسماء المستشرقين ، ص201)

^{38} دكتور على حسنى الخربوطلي المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الناشر : دار النهضة العربية (ص108)

^{39} دكتور سعيد المغناوي، اليسرة النبوية في الكتابات المانية، (ص : 40)

^{40} اسمه كامل ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخلف بن سليم الكوفي ولد في709في بغداد. كان جده مكلف بن سليم صحابياً ومن أصحاب الإمام علي وقتل وهو يقاتل إلى جانبه في حرب الجمل. كان هو من أوائل المؤرخين

بعواطفه إلى العراق ضد سوريا، وإلى جانب على ضد الأمويين. أما أبو معشر^{41} و الواقدي فيمثلان الاتجاه العلمي المدني وهما يتابعان على تقاليد رواة المدينة الثقات تاريخ العهد الأموي بموضوعية علمية دون ابداء ميل عاطفي ملموس للأمويين. أما الروايات السورية التي تميل إلى الأمويين فقد اندثرت، ولكن آثاراً منها بقيت محفوظة في التاريخ المسيحي. أما المدائني فقد كان موالياً للعباسيين. ويتمسك فلهاوزن في تقيمه للمصادر بهذه الأسس، دون أن يتخلّى من حين لآخر عن إصدار حكمه من حيث وجهات النظر الموضوعية. وكما يؤكد كارل هاينرش بيكر^{42} في رثائه، فإن هذا الكتاب الذي لم يلق اعتباراً يذكر في بادئ الأمر أصبح انجيلاً لا غنى عنه بالنسبة لمؤرخ بواكر العهد الإسلامي^{43}.

المدينة قبل الاسلام:

"المدينة قبل الاسلام" في دراسات و اعمال أولية الكراس الرابع القطعة الأولى، برلين (1889) كذلك تاريخ ما قبل الاسلام، مؤكداً على الناحية السياسية أكثر من الناحية الدينية. وفي دراسة " مقدمة إلى أوائل تاريخ الاسلام في دراسات و عمال أولية، الكراس السادس، برلين ، 1899 يتفرغ فلهاوزن للإسلام نفسه وفي هذه المقدمة بعالج تاريخ الإسلام، باستثناء فترة محمد نفسها، حتى وقته الجمل (656 ميلادي)^{44} مقدمة إلى أقدم تاريخ الاسلام، فيتناوله فلهاوزن بالدراسة التاريخية النقدية عصر الخلفاء الراشدين الأربعة فينقد رواية سيف بن عمر كما أوردها الطبري في تاريخه ويرى إن هذه الرواية وإن كانت أحسن اتساقاً وتنظيماً من غيرها فإنها تمثل الرواية العراقية عن ذلك العصر وهي أقل قيمة بكثير جداً - من الناحية التاريخية من الرواية الحجازية المدنية فإن هذه الأخيرة أدق وأصدق ولهذا يجب الاستناد إليها في دراسة عصر الخلفاء الراشدين خصوصاً من وفاة النبي ﷺ حتى معركة الجمل وبهذا أبرز فلهاوزن هذا العصر على

الإسلام ابرز الكتابة مقتل الحسين الذي مشهور باسم مقتل ابو مخنف و توفي في عام 774 (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين أسد (ج 1، 6)، شعيب الأرنؤوط (ج 2، 5، 19، 20)، محمد نعيم العرقسوسي (ج 3، 8، 10، 17، 18، 20)، مأمون الصاغري (ج 4)، علي أبو زيد (ج 13، 7)، كامل الخراط (ج 9)، صالح السمر (ج 11، 12)، أكرم البوشي (ج 14، 16)، إبراهيم الزبيق (ج 15)، بشار معروف (ج 21، 22، 23)، محيي هلال السرحان (ج 21، 22، 23)، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، تحقيق قسم السيرة النبوية والخلفاء الراشدون: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م (302/7)

^{41} أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي 10 أغسطس 787 والذي يعرف في الغرب باسم البوماسر ، هو فلكي ورياضياتي ولد في بلغ شرقي خراسان والتي تقع حالياً في أفغانستان كان من أشهر علماء الفلك المسلمين كثير من أعماله ترجمت إلى اللاتينية وكانت معروفة في أوروبا حيث كان يعرف هناك باسم البوماسر قدم إلى بغداد طلباً للعلم فكان منزله في الجانب الغربي منها بباب خراسان، على ما جاء في الفهرست وكان أولاً من أصحاب الحديث ونقل من بعض المجاميع أن أبا معشر كان متصلاً بخدمة بعض الملوك ومات في 28 رمضان سنة 272 هجري. (مؤمن، عبد الأمير (2006). قاموس دار العلم الفلكي. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، (145/2)

^{42} كارل هاينرش بيكر هو مستشرق ألماني وسياسي ولد في شهر إبريل سنة 1876 من أسرة تنسب إلى الطبقة البورجوازية، قضى بكر أيام دراسته الثانوية في فرنكفرت ، ومن بعدها دخل جامعة لوان ثم من بعد درس في هيدلبرج و برلين كان له حبة شديدة بعلم اللاهوت في 1916 قرر في وزارة المعارف البروسية، وهنا يبدأ نشأة العلمي و ينتهي نشاطه علمي كاستاذ. وبعد أن غادر الوزارة وبدأ بدراسات العلمية في باب الاستشراق، وظل كذلك حتى توفي اليوم العاشر من شهر فبراير 1933 .

^{43} صلاح الدين المنجد، المستشرقون المان تراجمهم وما اسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت ، لبنان (ص: 109)

^{44} صلاح الدين المنجد ، المستشرقون المان تراجمهم وما اسهموا به في الدراسات العربية (ص: 108)

ضوء الرواية الأصح حتى إذا ما وجدها وثق بها واعتمد عليها تماما. ومن هنا أصبح كتابه هذا الأساس لكل دراسة العصر الخلفاء الراشدين وفيه برزت ملكة النقد التاريخي التي امتاز بها يوليوس فلهوزن.^{45} محمد في المدينة:

محمد في المدينة" وهو مختصر اعتمد فيه على النصف الأول من المغازي للواقدي^{46}. ونشر بعض اشعار الهذليين و عمل دراسات أخرى كثيرة^{47}.

محمد والسفارات التي وجهت إليه:

وكتب عن الرسول ﷺ في كتابه محمد والسفارات التي وجهت إليه^{48}.

تحقيق تاريخ الطبري:

حيث قام بالتعريف بشخصيات الرواة وحللها وعدلها وجرحها

• أديان عرب الجاهلية.

• تنظيم محمد للجماعة في المدينة.

• دستور المدينة أيام النبي.

• فتوح ايران.^{49}

المبحث الرابع: النقد العلمي لمؤلفات فلهاوزن

أن معظم أنتاج يوليوس فلهاوزن التاريخي غطى الجوانب الدينية للأديان السماوية الثلاث وعلى رأس تلك الكتب وأبرزها هو كتاب تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية الذي وفر لنا مادة خصبة تناول فيه التاريخ الاسلامي بشكل عام إلا أنه أفادنا بشكل كبير في دراسة الجوانب الاقتصادية في العصر الاموي.^{50}

أما كتابه الثاني الذي خص فيه الدين الاسلامي فهو أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة ، تناول فيه النزاعات التي حدثت في صدر الاسلام وأثرها على الدين الاسلامي ككل.^{51} ومن المؤلفات الشهيرة التي ألفها فلهاوزن تفسير الانجيل الذي أخذ صدى واسع داخل المؤسسة الدينية المسيحية ، كما تناول في مؤلف آخر تاريخ العبري اليهودي الذي حمل عنوان مقدمة في تاريخ بني إسرائيل ، إضافة إلى ترجمة بعض المقالات التي تخص التاريخ الادب الشعر العربي.^{52}

^{45} دكتور عبد الرحمن البدوي ، الخوارج والشيعة ، المجموعة: مصادر التاريخ. تحقيق: ترجمة د . عبد الرحمن بدوي. الطبعة: الخامسة. (ص:11)

^{46} عبد المتعال الجبري السيرة النبوية وأوهام المستشرقين مكتبة وهبه 14 شارع الجمهورية عابدين القاهرة (ص:45).

^{47} تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، مقدمة.

^{48} دكتور راند امير عبدالله، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية علوم الإسلامية، المجلد الثامن 2014، (ص : 11)

^{49} محمد يسري محمد حسين الجزور اليهودية للتشيع (دراسة نقدية للنظرية يوليوس فلهاوزن) مركز نماء في البحوث والدراسات(ص:6)

^{50} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص:409)

^{51} المنجد ، المستشرقون الألمان (ص 112)

^{52} بدوي، موسوعة المستشرقين (ص:409)

سياسة التمييز المالية التي أتبعها الامويين ضد الموالي وأثرها على الاقتصاد الاسلامي بحسب رؤية يوليوس فلهاوزن يعتقد المستشرق الالماني يوليوس فلهاوزن أن من بين أهم العوامل التي أدت إلى تدهور الاوضاع في الدولة الأموية وسقوطها هو حالة عدم الانسجام بين مكوناتها وبالاخص ظاهرة التمييز المالي والاقتصادي التي تعرض لها الموالي أي المسلمين من غير العرب من قبل الامويين إذ لم يكن لتلك الفئة ذات الحقوق التي تمتع بها العرب بحسب زعمه لا سيما ما يتعلق الأمر بالامور المالية وعدم حصولهم على رواتب ثابتة (العطاء) نتيجة الاعمال العسكرية التي يقومون فيها ومساهماتهم الفعالة في حروب التحرير وتوسيع رقعة أنتشار الاسلام ففي هذا الشأن يذكر فلهاوزن:

" أن العرب لم يكن ينظروا إلى الموالي نظرتهم إلى أنفسهم فإن المقاتلين الموالي كانوا يقاتلون مترجلين ولم يسمح لهم ركوب الخيل كالعرب ، ومع أنهم كانوا يتقاضون رزقاً يأخذون نصيباً من الغنيمة فلم تكن لهم أعطيات ثابتة بل أنهم لم يكونوا مقيدين في ديوان الجند ، ومع أندماجهم في القبائل العربية فكان يطلق عليهم أهل القرى ، ولو أن العرب عاملوا من دخل الاسلام معاملة مساوية لهم لكان من الممكن أن يتحقق المزج بين الامتين ، لكن العرب بما صنعوه ربوا أعداءً لأنفسهم ، حتى كبر هؤلاء الاعداء وزادت الخصومة بين الطرفين مما جعلهم خطراً شديداً {53} . "

وفي رواية أخرى للمستشرق الالماني فلهاوزن تصب في هذا الاتجاه وفيها الكثير من التهكم وسوء الفهم للاسلام ومبادئه السمحة يذكر :

أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قد نظم الدولة الاسلامية طبقاً لقانون الفتح بحيث جعلها دولة للعرب على المغلوبين وقامت على أساس التمييز {54} ويستدل في ذلك على التفاوت في العطاء في زمن هذا الخليفة ، وأن طبقة العبيد لم يحصلوا على العطاء باعتبار أن العبد تابع لسيده وهو المسؤول عنه {55} .

النقد عليه:

أولاً:والحقيقة أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) جعل من التفاوت في توزيع العطاء لمكافئة بعض الاشخاص والقبائل الذين حملوا الاسلام على أكتافهم في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الاسلام ، فضلاً عن اعتبارات دينية صرفة كدرجة القربى للرسول ﷺ والسبق في الاسلام وسواها ، وهو ما يجله فلهاوزن او بالاحرى أنه فسر الروايات وقام بتأويلها في غير حقيقتها ، وربما يعد هذا الامر طبيعياً لجهل معظم المستشرقين في تفاصيل الاسلام ومبادئه الحقبة بحكم المعلومات السطحية التي يحصلوا عليها أحياناً ، وعدم معاشتهم للواقع الاسلامي وبيئته . {56}

ثانياً:وفي الحقيقة ان هذا الوصف وغيره من قبل المستشرق فلهاوزن يضعنا أمام صورة قائمة ويعكس حالة كبيرة من التمييز الذي كان الاسلام في الاساس يستهدف القضاء على تلك الظواهر وتحقيق المساواة بين الناس ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل فعلاً هل أن ما ذكره فلهاوزن يمثل حقيقة الامور آنذاك أما أنه

{53} يوليوس فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية (ص: 471-472)

{54} يوليوس فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية (ص: 298)

{55} أبو الحسن علي بن محمد بن حميد الماوردي (1061م / 450هـ) ، الاحكام السلطانية الولايات الدينية ، (القاهرة : المطبعة التجارية ، د . ت) ، (ص 193)

{56} أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 838/224م) ، الاموال ، ط1 ، بيروت : دار الشروق ، (1989م) (ص -312)

أجتزأ بعض الروايات التي لا تمثل السياق العام واعتبرها حالة عامة تمثل أحوال الموالي في هذا العصر من خلال تأويل بعض النصوص ؟

ثالثاً: الحقيقة التي لا غبار عليها أن الموالي لم تكن لديهم أعطية ورزق ثابت بعكس المنتمين لديوان الجند من العرب ، وما نجده في مرويات الطبري يتفق بصورة جزئية مع فلهاوزن إذ يشير إلى عدم تلقي هؤلاء الاعطية الثابتة غير أنه لم يشر إلى الظواهر الأخرى الكثيرة التي ذكرها فلهاوزن حيث يذكر الطبري "

أن رجلاً من الموالي يكنى أبا الصدياء ، وكان فاضلاً في دينه شكى إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز فقال له يا أمير المؤمنين أن عشرين ألف من الموالي بلا عطاء أو رزق

ومثلهم من أهل الذمة أسلموا يأخذ منهم الخراج " . {57}

ومع ما يؤكد الطبري من مظالم تتعلق بعدم منح العطاء للموالي إذ يتفق مع ما ذكره فلهاوزن بهذه المسألة إلا أننا لم نجد في رواية الطبري ما يشير إلى منع الموالي من ركوب الخيل أثناء المعارك وربما الأمر يتعلق بأحوال الموالي الاقتصادية التي تمنعهم من شراء الخيول {58} .

رابعاً: وفي الواقع أن بعض المستشرقين لم يفرقوا بين الجانب السياسي والجوانب الاقتصادية فقد سادت فكرة أن السيادة منذ الخلافة الراشدة حتى سقوط الخلافة العباسية بأن منصب الخلافة يجب أن يكون عربياً قريشياً أستناداً إلى ما نسب إلى الرسول ﷺ من حديث بأن الأئمة من قريش ، وأن الأمويين تشددوا في ذلك فقد رفض ترشيح عدد من الخلفاء لكونهم غير عربية ، وكذلك اللغط الذي حصل عند تعيين الوالي خالد القسري {59} فقد رفض من قبل عامة الناس كون أمه رومية ولذلك فإن بعض المستشرقين زجوا بالجانب السياسي بأحوال الموالي الاقتصادية مع أن من الثابت لدينا لم يكن يمنح لهذه الفئة العطاء في عصر الدولة الأموية . {60}

النقد على روايات فلهاوزن من مولفاته:

تجمع المصادر على أن الخليفة عمر بن عبد العزيز إقدم على ترسيخ قيم العدل والتسامح والعمل على رفع الظلم ورد المظالم التي وقعت على أهل الذمة قبل استخلاف عمر بن عبد العزيز الخلافة ومحاولة العودة إلى ما كانت في صدر الإسلام والخلافة الراشدة ولا سيما أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل تعد ذلك وفرضت الجزية على المسلمين الجدد بدعوى أنهم لم يكونوا يدخلوا في الإسلام سوى للهروب من فريضة الجزية التي فرضها الإسلام على الرؤوس أهل الذمة بشكل خاص فكن يشين على المسلم دفع الجزية مع دخوله الإسلام والتزامه بكل الفرائض والعبادات ومع ذلك يلتزم بدفع مقدار الجزية {61} .

والحقيقة أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أدرك أن هذه الخطوات التعسفية تحد من انتشار الإسلام بدل نشره ، ولذلك عزم على التصدي لهذه الظاهرة التي ظهرت بشكل واضح في العراق مع ولاية الحجاج بن يوسف

{57} أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310/922م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،

القاهرة : دار المعارف ، 1964م (559/6)

{58} الطبري، تاريخ الرسل والملوك (559-560/6)

{59} خالد القسري : وهو والي العراق الذي شغل منصب ولاية العراق في خلافة هشام بن عبد الملك لمدة خمسة عشر عاماً (105-160/723-737م) وقد اثارته شخصيته الكثير من الجدل خلال ولايته على العراق لكون والدته رومية وليست عربية لهذا رفض تعيينه في هذا المنصب أول الأمر من قبل الكثير من القبائل فضلاً عن عامة الناس. للمزيد من المعلومات أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 5748/1374م) سير أعلام النبلاء ، (بيروت :

مؤسسة الرسالة ، 1982م) (436/5)

{60} فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (ص: 271)

{61} الصلابي ، عمر بن عبد العزيز ، دار ابن الجوزي، القاهرة (ص 277)

الثقفي^{62} ولا يستبعد فلها وزن إقدام أهل الذمة في العراق على الدخول في الاسلام بسبب التعسف الشديد في جباية الجزية في ولاية الحجاج وهو ما دعاهم إلى النفور من الجزية فساروا إلى الدخول في الاسلام ، مما دعا الحجاج إلى فرض الجزية على المسلمين الجدد لكونه كان يشك في أسلامهم^{63} ، وما نجده في المصادر الاخرى يتطابق بشكل كامل مع ما ذهب إليه فلها وزن ففي رواية للطبري يذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي أول من وضع الجزية على من أسلم في خلافة عبد الملك بن مروان ،^{64} وهكذا ذكر ابن الاثير في أشارته إلى اخذ الجزية من مسلمي العراق في زمن الحجاج^{65} .

ويذكر فلها وزن أن أول من أوقف الجزية التي فرضت على المسلمين الجدد هو الخليفة عمر بن عبد العزيز وفي رواية تصب في هذا الاتجاه أن حيان بن سريج^{66} والي مصر بعث إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن أهل مصر أقدموا على الاسلام بشكل كبير وأن ذلك أضر بالابرادات التي يحصل عليها بيت المال فرد عليه الخليفة بجواب حازم " بأن الله بعث محمد ﷺ هادياً وليس جابياً ﷺ وهذا النص يعطي دلالة واضحة في هذه المسألة على أن أول من أوقف الجزية بحق المسلمين الجدد هو الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وفوق ذلك يذكر فلها وزن أنه عندما حدث زلازال كبير في الشام في سنة 717م /990أوقف دفع الجزية عن أهل الذمة لأنه شعر بدخول العديد منهم في الاسلام يفعل ما حدث ولذلك كره على النصارى دخول الاسلام في تلك السنة .^{67}

كما أشار فلها وزن إلى ثمة مشكلة أخرى فيما يتعلق بجمع الجزية لا سيما في القرى المفتوحة ومنح جبايتها إلى الدهاقين وهؤلاء بطبيعة الحال بلغ من الشجع فيهم ما يمنع دخول أهل الذمة في الاسلام لكون ذلك يتعارض مع مصالحهم الخاصة فهم المسؤولين عن جباية الجزية والخراج ايضاً وفي بعض الاحيان الدولة تعطيهم قبالة في جباية الجزية التي فرضت على رؤوس أهل القرى ، وهم يسلفون الدولة في الموعد المحدد مع بداية كل عام على أن يقوموا بجمعها بتعسف شديد وبما يرهق كاهل الرعايا وهم ينظرون إلى المسألة اقتصادية بحتة وليست كما أقرها الاسلام ومبادئه الذي أقر الرفق بأهل الذمة وعدم تحميلهم ما ليست لهم قدرة

^{62} الحجاج بن يوسف الثقفي : وهو والي العراق ، وقد ولد في سنة 541 /661م في مدينة الطائف ، ثم أنتقل إلى الشام ، وكان قد ولى الحجاز وعند اضطراب الاوضاع في العراق استنجد به الخليفة عبد الملك بن مروان لولاية العراق ، وكان اسمه مرادفاً للقتل والوحشية والتكيد بأهل العراق والتعسف في استخدام السلطة ، وقد بنى مدينة واسط واقام فيها أثر قضائه على تمرد الخوارج ، وقد توفي في سنة 714/595م. للمزيد من المعلومات انظر : أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 892 /279م) ، فتوح البلدان، (بيروت : مؤسسة المعارف، (1987م) ، (ص 99)

^{63} فلها وزن ، تاريخ الدولة العربية ، (ص 283-282)

^{64} الطبري ، تاريخ الرسل والملوك (617/6)

^{65} عز الدين علي بن حمد ابن الاثير (ت 5630/1233م) ، الكامل في التاريخ ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1987م(4/465)

^{66} حيان بن سريج : وهو والي مصر في خلافة عمر بن عبد العزيز وكان شديد التعسف في جباية الجزية ، حتى أنه بعض المصادر تنقل منع دفن أي شخص من أهل الذمة قبل دفع مبلغ الجزية المقدر عليه ، بعث له الخليفة عمر بن عبد العزيز بكتاب يطالبه الرفق بأهل الذمة ، وأن الله بعث محمد (ص) هادياً وليس جابياً . للمزيد من المعلومات انظر : القاسم بن سلام ، الاموال ، (ص 225- 227 .

^{67} الصلابي ، عمر بن عبد العزيز ، (ص 277)

عليه ، لذلك وقف هؤلاء الدهاقين بوجه الاجراءات التي أقرها الخليفة عمر بن عبد العزيز ما أمكن للمحافظة على مصالحهم الخاصة .^{68}

وعلى الرغم من أعجاب فلهاوزن بتلك المعالجات والاجراءات التي طالت فريضة الجزية والاغداق في الثناء على الخليفة عمر بن عبد العزيز وأجراءاته إلا أن فلها وزن يقول ليس من الضرورة بطبيعة الحال أن أصلاحات هذا الخليفة تمت عن طيب خاطر وأنه أسقط الجزية عن دخولوا في الاسلام من الشعوب والممالك ، فإنه أراد بذلك أن يتفادى شن الحروب المجرد الغنائم وأنه شعر بتحمس عدد منهم دخولوا في الاسلام للمشاركة في الفتوحات ، وهذا التحليل بطبيعة الحال يتناقض مع ما جاء في الاسلام وتأويل النصوص والروايات في المصادر الاسلامية بغير حقيقتها وجعل من حروب التحرير مجرد حروب من أجل الغنائم وهذا بخلاف الواقع ، ولا يرد ايضاً في المصادر الاسلامية ، فضلاً عما تجمع عليه المصادر من حسن نوايا الخليفة عمر بن عبد العزيز وردة للمظالم التي وقعت على الرعايا بحسن نية وطيب خاطر وفقاً لما جاء به الدين الاسلامي وقيمه النبيلة .^{69}

المبحث الخامس: كيفية صياغة المنهج الإسقاطي والهدف منه

شبهات فلهاوزن في كتاباته عن استخدام المنهج الإسقاطي:

حرص فلهاوزن على أن يقرأ النصوص قراءة علمانية والاسقاطية، أي يعتمد فقط على النصوص ويخضعها لنقد شديد رغبة منه بشكل نهائي وأكد في قطع الصلة مع كل ما يمكن أن يكون لديه مدلول ديني. وسوف يدفعه كتاب كوسان دي برسفال "دراسة حول التاريخ العربي" في هذا اتجاه^{70}.

أول ما يمكن لحظه في دراسة فلهاوزن للسيرة هو الحيز الصغير الذي أولاه لها في كتابه "تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية" إذ اختصرها في حدود تزيد قليلاً عن ثلاثين صفحة فقط مما يعكس أهميتها الضئيلة عنده، ويعطي انطبعا بعدم قيمتها من وجهة نظره.

ونحن نورد في هذا المقام جملة من الأمثلة/الشبهات على ما نقول انطلاقاً من عمل فلهاوزن وتفسيره لقسم متقدم من تاريخ الإسلام عني فيه بتقديم جانب من سيرة المصطفى ﷺ.

الشبهة الأولى: محمد ﷺ صانع القرآن:

نذكر في هذا المقام بأن تصور فلهاوزن عن النبي ﷺ والقرآن ليس بدعا في المنظومة الاستشراقية بعامة والألمانية بخاصة، وذلك أنه لا يخرج عن التيار العام الذي يرى في النبي ﷺ صانع القرآن ومختلقه ومبدعه في أحسن الأحوال، وهو بذلك يرفض أن يعتبر القرآن كتاباً موحى به من الله لنبيه ﷺ، لأن مفهوم الوحي ليس مفهوماً علمياً عنده حتى يقر به أو يؤمن به أو يجعله مسلمة عنده.^{71}

وموقفه هذا تجده مرة صريحاً ومرات أخرى مستضمراً في طي ما يبينه ويؤسسه من أفكار في قراءته للسيرة النبوية. ولكي نفهم موقف فلهاوزن وغيره من المستشرقين من الوحي يجب أن نربطه بالموقف العقلاني والوضعي من النبوة التي هي فاصل قاطع بيننا وبينهم ولا قيمة لأي حوار أو أي تواصل ما داموا على إصرارهم في معاملة نصوص الوحي مثلما يعاملون نصوص شكسبير^{72} وراسين^{73} وموليير^{74}.

^{68} فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، (ص 289)

^{69} الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، (82/5)

^{70} أحمد حسن عبد السلام: تاريخ الاستشراق الألماني، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية، 1984م. (ص: 200)

^{71} فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (ص: 2)

^{72} ولْيَم شكسبير (بالإنجليزية: William Shakespeare) شاعر وكاتب مسرحي وممثل إنجليزي بارز في الأدب الإنجليزي خاصة، والأدب العالمي عامة. سُمي بشاعر الوطنية وشاعر آفون الملحمي. أعماله موجودة، وتتكون من

يقول تعالى مفندا مزاعمهم { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } {75}

ويقول أيضا جل في علاه: { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {76}

إن موقف المسلمين في معالجة هذه القضية ل يبدو أكثر نضجا في الاعتراف بنبوته موسى وعيسى وكل الأنبياء { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } {77}

لا اعتبار ذلك من صلب الإيمان الذي لا يكمل إلا بجمع ذلك كله، غير أنه مع إيماننا بهذه الرسائل ليس لنا شك في أن رسالة محمد ﷺ هي الخاتمة المهيمنة على ما سبقها، وأن ما بأيدي غيرنا من كتب ليست مما بقي على أصل وضعه بل تطرق إليه التحريف والتبديل. ولو بقي على حاله مصونا كما حفظ القرآن الكريم لما اتسع الخلاف بيننا وبينهم.

الشبهة الثانية: محاولة فلهاوزن عن اسقاط الرواية على محمد ﷺ السياسي العلماني:

يفهم من خلال قراءة آراء فلهاوزن عن النبي محمد ﷺ أنه ليس إلا صاحب أطماع سياسية وليس له من النبوة إلا الادعاء وركوبها مطية لبلوغ أغراض محض دنيوية، فقد كان محمد ﷺ رجلا "ثائرا" في مكة على قومه، "مخالفا لما هم عليه، أما في المدينة فقد بلغ ما كان يرمي إليه، ولقد أحدث هذا تغييرا كبيرا لا مجرد فرق ظاهري. وذلك لأن المعارضة دائما تتغير عندما تصل إلى الرئاسة، وإن السياسة عند تطبيقها تبعد كثيرا عن الفكرة التي قامت عليها، لأن تقديرها للأشياء في أول الأمر يكون بحسب الإمكان لا بحسب الواقع. وهذا

39 مسرحية و 158 قصيدة قصيرة (سوناتات) واثنين من القصص الشعرية (قصيدتين سرديتين طويلتين) وبعض القصائد الشعرية، وقد ترجمت مسرحياته وأعماله إلى كل اللغات الحية، وتم تأديتها أكثر بكثير من مؤلفات أي كاتب

مسرحي آخر (Joseph Quincy) (A Life of William Shakespeare. Boston: 1908)

{73} كان جان راسين من الكتاب المسرحيين الرئيسيين في الأدب الفرنسي. نشط خلال عصر الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا المجيد. وكان معاصراً لموليير وبوالو. وكان موليير في البداية - في فترة التمثيل والإخراج المسرحيين - إلى جانب حياته العملية في التأليف. يقدم روايات من تأليف راسين. ولكنها أخفقت فنياً. فانصرف الكاتب إلى فرقة مسرحية أخرى منافسة. وكان شاعراً من شعراء البلاط من سنة 1633 م، ومن أشهر مسرحياته: بيرينيس، وأفيجيني، وفيدر، وأستير. وكلها مأس - أو تراجيديات - ذات شكل كلاسيكي بحت، و طاقة درامية بسيطة. (راسين، جان - الموسوعة العربية الميسرة، 1965)

{74} موليير Molière - اسمه الأصلي جان باپتيست بوكلان Jean Baptiste Poquelin - (باريس، 15 يناير 1622 - باريس، 17 فبراير 1673) كاتب مسرحيات و ممثل فرنساوى كبير بيعتبر واحد من اهم اساتذة الكوميديا فى تاريخ الفن المسرحى الاوروبى و رائد الملهاه فى العالم و مؤسس " الكوميديا الراقية ". زى حوالى 95 مسرحيه منها حوالى 31 من تأليفه. بتمتاز مسرحياته بالبراع فى تصوير الشخصيات و بالظرف فى تكوين المواقف و القدره على التضحيك. بيظهر ده فى مسرحياته العظيمه " مدرسة الأزواج " (1661)، و " مدرسة الزوجات " (1662)، و " تروتوف " (1664)، و " البخيل " (1668)، و " الستات العالمات " (1672)، و " عدو البشر " (1670)، و " المريض بالوهم " (1673)، و " طبيب رغم انفه " (1666)، و " امفيتيريون " اللى اقتبسها من مسرحية الشاعر اللاتينى پلاوتس Plautus. (مولاتولى، موليير، ترجمة يوسف جهمانى، دار حوران للدراسات و الترجمة، دمشق 1994)

{75} سورة فصلت الآية: 41-42

{76} سورة الحاقة الآية: 41-43

{77} سورة البقرة الآية: 285

هو الذي يفسر لنا أن النبي ﷺ لما صار رئيسا سياسيا تغير عما كان عليه لما كان لا يزال طامحا في الرئاسة، وأن الحكومة الثيوقراطية الفعلية تغيرت عنها لما كانت فكرة، وعلى هذا صار الطابع السياسي يزداد بروزا والطابع الديني يزداد تراجعاً. {78}

ورد هذه الأوهام من جهات خمسة:

أولها: أن رسالة النبي محمد ﷺ رسالة من السماء إلى الأرض وليست حركة ثورية أرضية إنطلقت من الأرض وانتهت إلى الأرض كما هو شأن الحركات التحررية والمعارضة التي تحصر اهتماماتها وأهدافها في إسقاط نظام وإقامة نظام بديل عنه.

ثانيها: أن رسالة محمد ﷺ رسالة هداية للإنسان وإنفاذ للبشرية جمعاء من برائن الكفر والإشراك بالله، ولم تكن معارضة تستهدف بناء دولة في المدينة أو في مكة. كما قال تعالى في القرآن الكريم: (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) {79}

ثالثها: أن بناء الدولة الإسلامية ليس هدفا في حد ذاته لرسالة محمد ﷺ، بل هو أسلوب ووسيلة فقط لتيسير أمور التربية والدعوة والعيش في فضاء تحكمه القيم الإسلامية النظيفة.

رابعها: أن تصور ثنائية الإمكان والواقع تصور محدود ونسبي تحكمه رؤية إسقاطية لما عليه النماذج السياسية الوضعية التي يمكنها أن تتخلى عن المبدأ لصالح إجراءات التطبيق والتنزيل. وهو أمر لم يكن في سياسة رسول الله ﷺ ليفهم من هذه الزاوية الضيقة، بل من زاوية أوسع هي زاوية الرحمة بالناس والرافة بهم وأخذهم بالتدرج والحكمة في قبول الرسالة الإلهية الجديدة والبلوغ بهم حد التعلق بها والدفاع عنها. كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) {80}

وخامسها: والأخير أن سياسة النبي ﷺ ليست من الصنف الثيوقراطي، وذلك لسببين اثنين غابا عن فلهوزن وأمثاله:

الأول: أن نظام حكومة رسول الله ﷺ كان قائما في شقه الدنيوي على أمور الشورى وإشراك ذوي الخبرة والاختصاص من أهل الحل والعقد في تدبير شؤون الدولة الإسلامية، يقول تعالى: { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } {81} ويقول أيضا: { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } {82}. وهو أمر يتنافى وطبيعة النظام الثيوقراطي ذي الطبيعة المركزية.

الثاني: أن تصرفات النبي ﷺ عند المستشرقين واحدة ولا يكادون يميزون بين تصرفاته بالاعتبار النبوي الرسولي وتصرفاته بالاعتبار الإنساني الطبيعي الجبلي. ومن فاته هذا العلم فاته فهم عميق لمجريات السيرة النبوية ووقع في خبط وسقط.

يقول العز بن عبد السلام:

“أما مصالح الآخرة وأسبابها ومفاسدها فلا تعرف إلا بالشرع، فإن خفي منها شيء طلب من أدلة الشرع، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعتمد والاستدلال الصحيح. وأما

{78} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 5-6)

{79} سورة يس، الآية: 17

{80} سورة الأنبياء الآية: 107

{81} سورة الشورى الآية: 38

{82} سورة آل عمران الآية: 159

مصالح الدنيا وأسبابها ومفاسدها، فمعروفة بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتبرات، فإن خفي شيء من ذلك طلب من أدلته“ {83}

الشبهة الثالثة: محمد ﷺ وظلمه لليهود:

يذكر فلهوازن أن النبي صلوات ربي وسلامه عليه حاول أن يظهر اليهود بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، ولقد التمس لذلك أسبابا واهية. {84}

فما تكون هذه الأسباب الواهية ياترى؟ وهل مسائل العرض والشرف مسائل تافهة؟ يحكى أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده على ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فغضب المسلمون على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. {85}

وفلهوازن الذي ذهب إلى ظلم النبي ﷺ لليهود لا يستطيع أن يسلم من التناقض مع الفكرة السالفة حين يعبر مرة ثانية أن “اليهود صاروا جزءا من الأمة” {86}

فكيف يكونون جزءا من الأمة وفي نفس الوقت يصير رسول الله ﷺ على إخراجهم إلا إذا كان هذا هو عين التناقض.

إن القارئ لسيرة رسول الله ﷺ لا شك يجد أن تصرفات النبي ﷺ مع اليهود تحديدا تحكم فيها الحلم والعلم، فرغم علمه بنفاقهم ودسائسهم التي لم تتوقف للإجهاز على جماعته المؤمنة إلا أنه صبر عليهم حتى ظهر له أن بقاءهم في المدينة أو بقاء بعضهم في المدينة سيهدم كل ما بينه فاضطر عليه الصلاة والسلام لإبعادهم. وإلا فإنه قد أعذر من أنذر. ويأتي فلهوازن ليقول بأن النبي ﷺ “اضطر لاستعمال وسائل غير مقدسة في إخراج اليهود”. {87}

إنه لم يصبر أحد على مكائد اليهود مثلما صبر رسول الله ﷺ، ولولا علمه الشريف بخطرهم المحقق على الرسالة الفتية بما كانوا يبرمونه من شر وكيد أخبر عنه القرآن الكريم فضح أسرارهم وكشف سرائرهم الخبيثة لما أبعدهم النبي عليه الصلاة والسلام. وقد سمح لهم رسول الله ﷺ - رغم كل شيء - بأن يحملوا معهم ما يشاؤون من الأمتعة والأموال إلا السلاح، فحملوا ما استطاعوا، حتى قلعوا من بيوتهم الأبواب والشبابيك، والأوتاد وجذوع السقف، وحملوها فيما حملوا، وهذا الذي قال عنه الله تبارك وتعالى: { يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ } {88} ونزل أكثرهم وأكابرهم بخبير، ونزلت طائفة منهم بالشام.

{83} أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414هـ - 1991م (10/1)

{84} فلهوازن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 15-16)

{85} محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت734)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1993/1414 (385/1)

{86} فلهوازن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 11)

{87} فلهوازن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 22)

{88} سورة الحشر الآية: 2

الشبهة الرابعة: محمد ﷺ والطموح الشخصي:

يتمثل المنحى الاسقاطي في نظرة فلهاوزن للرسول ﷺ باعتباره صاحب طموحات شخصية يريد أن يحققها إرضاء لنزوات داخلية مثلما هو شأن من يركبون السياسة في كثير من الأحيان ولا تكون لهم رسالة سماوية تربوية أو حضارية إلا أن يسيطروا على عقول الناس وأموالهم وثرواتهم، ويتحكموا في مصائرهم بتعبئتهم تعبئة تدجينية تفرغهم من طاقاتهم وقدراتهم النقدية ليصيروا كالعجيين في أيدي أصحاب القرار، وفلهاوزن لا يعنيه من سيرة الرسول الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه إلا أن يرى من خلالها طموحات شخص يريد أن يهيمن ويحكم على جزيرة العرب.

يقول: **“لكنه كان يرمي إلى ضم الجماعة كلها، فكان يطمح إلى أن يجعل أمته العربية كلها جماعة دينية له”** {89}

وقد يتناسى فلهاوزن أن الرسول ﷺ قد عُرضَ عليه الحكم والمال وكل ما تصبو إليه النفوس الطبيعية في سعيها ودأبها حين قالوا له **“إن كنت إنما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا”** {90}

إلا أنه رفض كل هذا ورده في موقف إنساني مليء بالمعاني والدلالات عن التمسك بالحق والإصرار على المضي في طريق إكمال الرسالة. **“والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه”** {91}

الشبهة الخامسة: محمد ﷺ والتمييز العنصري:

يذهب فلهاوزن إلى أن دولة النبي محمد ﷺ الثيوقراطية لم تطبق المساواة السياسية بين المسلمين على النحو الذي من شأنه أن يمحو الفوارق التي كانت موجودة بالفعل. فبقي المكيون الذين جاءوا مع النبي ﷺ وهم المسلمون المهاجرة على حدتهم، وبقيت إلى جانبهم قبائل العرب التي تسكن المدينة، وهم المسلمون الأنصار في المدينة على حدتها. وكذلك بقيت اليهود في المدينة على حدتها. وبقي التابع تابعاً والمولى مولى والنزيل نزيراً وإن كانوا قد اعتنقوا الإسلام جميعاً. {92}

وابطال هذه الدعوى يأتي من ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن النبي ﷺ رسخ مبدأ المساواة منذ الوهلة الأولى لأنها رسالة الإسلام إلى العالم في قوله: **“الناس سواسية كأسنان المشط الواحد، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى”** {93}

الطريق الثاني: أن النبي ﷺ أسس بصحيفة المدينة التي تعتبر اليوم من الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان دستوراً للمسلمين وغيرهم يجمعهم ويضعهم أمام القانون بمنزلة واحدة، حقوقاً وواجبات. وفي صحيفة المدينة اعتبر اليهود **“أمة مع المؤمنين، ولهم دينهم وللمسلمين دينهم، وعليهم نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن**

{89} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 4-6)

{90} عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، (313/1)

{91} (ابن هشام، السيرة النبوية (313/1)

{92} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 11)

{93} عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الدر المنثور، الناشر: دار الفكر – بيروت (98/6).

بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وعلى من دهم يثرب، كل يدافع من جهته، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، إلخ..»^{94}

الطريق الثالث: أن النبي ﷺ جعل يواخي بين الأنصار والمهاجرين بعقد المؤاخاة، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، فأخى بينهم على المؤاساة، وأنهم يتوارثون فيما بينهم بعد الموت، دون ذوي الأرحام، ثم نسخ التوارث وبقيت المؤاخاة، وكانت قد عقدت في دار أنس بن مالك -رضي الله عنهم أجمعين-^{95}.

الشبهة السادسة: محمد ﷺ والإرهاب:

يتوقف فلهاوزن عند بعض الأحداث التي وقعت بعد بدر مع المنافقين فيتهم الإسلام بالإرهاب. يقول: لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة، وكانت إثارة مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول^{96}.

وفي هذا الكلام مغالطتان نجيب عنهما بعد تحديدهما بما يلي:
المغالطة الأولى:

وتتعلق بمفهوم التسامح: إذ يتصور كثيرون أن التسامح تساهل إلى غير غاية، والحق أن الحدود بين ما يتسامح فيه وما لا يتسامح فيه غير بينة، بحيث لا يعرف إلى أي حد يمكن أن يصل التسامح، هل يكون هذا الحد هو عدم الإخلال بمبادئ عقلية مخصوصة أو يكون هو عدم الإخلال بمبادئ أخلاقية معينة؟ ثم لم كانت هذه المبادئ دون غيرها لا تقبل أن نتسامح فيها؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تختلف الأمم في الجواب عنها.^{97}

وإذا رجعنا إلى واقع المنافقين في المدينة وجدنا أفعالهم ليست من الصنف الذي يدخل في نظرنا تحت نطاق المسامحة، لأن خطرهم على تماسك المجتمع كان واضحاً، إذا كانوا بمنزلة السوس الذي ينخر عماد البيت، وكان لا بد من أخذ موقف صريح منهم بعد أن كشفهم الله لنبيه ﷺ. كما قال تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)^{98} فالمنافقون طاقات هائلة لو تركت لأفسدت الإسلام بكل قوة وكل أسلوب، ولذا تطلب الموقف حذراً شديداً من الرسول ﷺ ويقتطع واستعداداً لصددهم قولاً وفعلًا، لاسيما وأنهم كانوا هم السباقين إلى الهجوم والغدر، ما وجدوا إليه منفذاً.

المغالطة الثانية:

وتتعلق بمفهوم الإرهاب: وهو مفهوم يعكس رؤية الغرب لسياسة الإسلام إزاء أعدائه وخصومه، وقد بات اليوم من المصطلحات المبتذلة في سوق الإعلام الدولي يهاجمون به كل من أرادوا تصنيفه ومحاصرته، والإرهاب في الواقع رد فعل طبيعي جاء في القرآن الكريم وصفا متعلقاً بالاستعدادات الدفاعية لأمة الإسلام

^{94} صفى الرحمن المباركفوري: روضة الأنوار، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (ص: 104).

^{95} المباركفوري: روضة الأنوار (ص: 102).

^{96} فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (ص: 15).

^{97} طه عبد الرحمن: الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي (ص: 147).

^{98} سورة المنافقون الآية: 1

ضد الطامعين في اجتثاثها وحرمانها حقها في الوجود، قال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }^{99}.

فهذه الآية الكريمة نص في أنه يجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في التسليح وإعداد القوة وتدريب الجيوش حتى يرهبهم العدو ويحسب لهم ألف حساب، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين سواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب. وهذا اللون من الارهاب المنصوص عليه في الآية هو عمل وقائي ذو دلالات إيجابية، وهو من وسائل الردع العسكري وأدوات الحرب الباردة، ولا دلالة له على الارهاب بمعناه المتداول المعرف في القانون الجنائي، بل هو خطوة نحو السلام، لأنه يمنع العدو من ممارسة عدوانه

الشبهة السابعة: محمد ﷺ والإسلام الوثني:

في حديث فلهاوزن عن التطورات التي عرفتھا مسيرة الرسول ﷺ بعد الفتح، وفرض الحج على المسلمين، نجد هذا المستشرق يتبعه بعقله بعيدا في إسقاطات تفسيرية لا يقره عليها إلا نظراؤه من ضعفاء النظر.

يقول "وأصبح الحج إلى الكعبة، بل تقبيل الحجر المقدس من الشعائر الدينية المفروضة، وبذلك دخل في الإسلام مركز للشعائر وعيد وثني شعبي"^{100}.

والواقع أن موقف فلهاوزن من قضية استلام الحجر الأسود ليس فيها مبدعا بل نكاد نجد كل المستشرقين يقصر نظرهم حتى لا يمتد بهم إلا إلى اختزاله في صورة إسقاطية على ما يحملونه من تصورات عن الشعوب الوثنية، فهذا بروكلمان يقول: "قدس العرب القدماء ضروبا من الحجارة في سلع وغيرها من بلاد العرب، كما يقدس المسلمون الحجر الأسود القائم في زاوية من الكعبة في مكة"^{101}.

ويعتبره بروكلمان أقدم وثن عبده العرب the oldest idol worshiped there ، وعندما بلغ النبي ﷺ الكعبة طاف بها سبعا على راحلته لامسا الحجر الأسود بعصاه في كل مرة، وبذلك ضم هذا الطقس الوثني إلى دينه^{102}.

ويمكننا أن نقف قبل أن نختم الورقة على تهافت نظريته من خلال مسألتين شرد فيهما:

الأولى: شروده في اعتباره تقبيل الحجر الأسود من المفروضات. وهو أمر لم يقل به أحد من الأئمة ولا الفقهاء. فقد كان سنة وبقي إلى يومنا هذا كذلك. روى البخاري والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن عامر بن ربيعة قال : " رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول: "إني أقبلك وأعلم أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك " "^{103}.

قال ابن رشد : "وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر خاصة من سنن الطواف إن قَدِرَ، وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده"^{104}.

الثانية: شروده في اعتباره هذا الفعل أي تقبيل الحجر في الحج مركزا للشعائر وعيدا وثنيا شعبيا أخذه المسلمون عن العرب، وذلك لأنه لم يعرف عن العرب عبادتها للحجر من جهة، كما أن الحجر قديم وهو جزء من بناء الكعبة من لدن سيدنا إبراهيم، ومنزلته عند المسلمين سبقت منزلته عند غيرهم، وهو على

{99} سورة الأنفال الآية: 60

{100} فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية (ص: 18)

{101} بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، الناشر : دار العلم للملايين. تاريخ النشر : 2012م. (ص: 8)

{102} بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص: 31)

{103} صحيح مسلم، كتاب الحج، حديث رقم 3070

{104} أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الناشر: دار الحديث – القاهرة (508/1).

منزلته باعتباره حجراً من الجنة كما تحكي بعض الروايات لا ينبغي للمسلم أن يتزاحم فيؤدي المسلمين حتى يستلمه لأن حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة كلها وليس الحجر الذي هو جزء منها. وعلى هذا يتحصل مما ذكرنا كيف أن فلهاوزن وأضرابه غابت عنهم حقائق كثيرة نتيجة إعمالهم المنهج الإسقاطي في تفسير مجريات السيرة العطرة لسيد الخلائق أجمعين، ويتبين معها أن النظر في تاريخ الإسلام بعامة يحتاج إلى أكثر من أدوات ومناهج مادية وتقنية لفهم أحداثه ووقائعه التي يتداخل فيها عالم الغيب بعالم الشهادة، إنه يحتاج من دون شك لفاعلية الإيمان التي تسمح بالاستبصار والاكتشاف والتحليل والتفكيك. لأن فاعلية الإيمان تنفع صاحبها من جهتين إذ تفتح عينيه على أفق أوسع من المعرفة غير المادية الفاعلة في الواقع المادي، وتمنعه من السقوط في آفات التكذيب والإنكار لما لا تستسيغه حوصلته العقلية والتي هي نتيجة حتمية للعقل المجرد الأصم. ونحن لا نستغرب إذ ذاك أن يبلغ عند المستشرقين من دارسي التراث العربي والإسلامي، التهاون بهذا المبدأ إلى درجة الاستخفاف به ونبذه بالمرّة، لأن أغلبهم هو ممن لا يقيم للإيمان وزناً، ولا يرى له فائدة في أية نظرية تبحث في التراث. وهو العطب بعينه.

النتائج:

أولاً: ثبت أن المنهج الإسقاطي هو آفة الدراسات الاستشرافية، لأنه يعكس ذات الباحث بدلاً من موضوع البحث.

ثانياً: تبين أن فلهاوزن كان انتقائياً في اختيار المصادر الإسلامية، حيث فضل الرواية المدنية على الرواية العراقية دون مبرر علمي واضح.

ثالثاً: زعم فلهاوزن بوجود تمييز عنصري ضد الموالى في العصر الأموي هو زعم غير دقيق، لأن تفاوت العطاء كان قائماً على اعتبارات دينية كالسابقين الأولين وذوي القربى.

رابعاً: فرض الجزية على المسلمين الجدد كان ممارسة شاذة للحجاج بن يوسف، وليست سياسة عامة للدولة الأموية، بدليل أن عمر بن عبد العزيز أوقفها فور توليه الخلافة.

خامساً: جميع الشبهات السبع التي أثارها فلهاوزن حول النبي ﷺ يمكن تفنيدها بالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي الموثوق.

سادساً: السبب الجذري لفشل فلهاوزن في فهم الإسلام هو إغفاله البعد الإيماني والغيب، وتعامل مع الوحي كما يتعامل مع النصوص الأدبية البشرية.

سابعاً: يوصي البحث بضرورة تأسيس مناهج نقدية إسلامية للرد على الدراسات الاستشرافية، تجمع بين الأدوات العلمية الحديثة والوعي بخصوصية الظاهرة الإسلامية.